الاسلوب القرآني وأثره في أهل الكتاب في القرآن الكريم

مدرس مساعد
مراد حميد عبد الله
جامعة البصرة – كلية الآداب

لا يخفى على علماء العربية الأهمية البارزة لدراسة الأسلوب؛خصوصا أسلوب القران الكريم إذ قسم بعض الباحثين والدارسين أسلوب القران إلى أقسام كلاً بحسب تراصف ألفاظه في تراكيبه ،وهذا اثَّر إيجابا في متلقي آياته بسبب قلة استخدام هذا الأسلوب من قبل العرب آنذاك،فكان لا بد من الوقوف على كل أسلوب اتبع مع كل قوم أو ملة أو خطاب لنبي أو لمشرك أو لرسول لنستطيع ان نُعرِّف القارئ مدى تأدية القران الكريم لدوره البارز في إعجاز العرب فكانت لنا وقفة متأنية ومفصلة لأسلوب الخطاب القرآني الموجه إلى قوم ليسوا بكفار ولا مؤمنين لكن يدَّعون شيئاً ويفعلون آخر – وهم بذاك اعتى الخلق في الكفر والعناد وأتِّباع الشهوات– وهم أهل الكتاب في القران الكريم.

يُعرَّف الأسلوب عموما بأنه ((الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه وهذا هو السر في ان الأساليب مختلفة باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين مع ان المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة والتراكيب في جملتها واحدة ، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة ، وهذا هو السر أيضا في ان القران لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة ، بل جاء كتابا جاريا على مألوف العرب ... فمن حروفهم تألفت كلماته ومن كلماته تألفت تراكيبه ، وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين تلك التراكيب جاء تأليفه ولكن المعجز و المدهش والمثير لا عجب العجاب انه مع دخوله على العرب من هذا الباب الذي عهدوه ومع مجيئه بهذه المفردات والتراكيب التي توافروا على

معرفتها وتنافسوا في حليتها ...تقول ان القران مع ذلك كله وبرغم ذلك كله قد أعجزهم بأسلوبه الفذ ومذهبه الكلامي المعجز ..))[١] فأسلوب القران المعجز يمثل إطارا جديداً من التعبير النثري ، فهو أسلوب فريد ذو هندسة ونسب فنية تتحدى القدرة الإبداعية العظمى لدى البشر فللعبارة القرآنية مضمون فكري وعاطفي مؤثر يحمل في طياته أسمى المشاعر الإنسانية والعواطف الربانية فمجموع هذه الأفكار والصور اللفظية التي تمتزج فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقا عن مضمونه الفكري والعاطفي بل تنصهر جميعها في بودقة واحدة ، فمن الصواب ان نقرر بان الصورة اللفظية تتطابق مع الشعور الذاتي تطابق هوية[٢] لان الخيال إنما يستمد مادته الأولية من أعماق الذات وهذا بدوره يعين ان الأسلوب هو عبارة عن ثلاثة كيانات تتوحد وهي :

١) الموضوع الخارجي ٢)الشعور المصوغ منه ٣) الصورة المنسوجة من الشعور[٣].

والقران الكريم إنما يرتب كلامه ترتيبا يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الأفكار تحريكا يهز النفس البشرية مراعيا بخطاباته أحوال أقوامه فالعامل النفسي في تكوين الأسلوب القرآني كان له حضور فاعل في توجيه الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك فارتقى بأسلوبه ليأخذ بمكامن النفوس معتليا اساليبا شتى ، فالمؤمن يتباين أسلوب خطابه عن الكافر ، واليهودي اختلف خطابه عن النصراني((فإذا نظرت إلى القران ترى تنوع أسلوبه في عهدي نزوله فبينما يمتاز العهد المكي تقصير العبارة غالباً وقوتها لأنه كان يخاطب قوماً كفروا بربهم واشتدوا في عنادهم ومحاربتهم لنبيهم وكثر فيه إيراد الحجج القوية والبراهين الساطعة نجد ان أسلوبه في مخاطبته للمؤمنين فيه من الرقة والعذوبة ما يضيء جوانح النفس ويملؤها بهجة وسرورا وقد امتاز في العهد المدني بسلاسة العبارة ونعومتها وخلوها من القوة والشدة إذ ان حاجة المخاطبين بعد قيام الدولة الإسلامية إلى التنظيم وتقرير الأحكام وتفصيلها استدعت كل ذلك..))[٤]ومن هنا ننطلق إلى ان أهل الكتاب – عموما – اختلف أسلوب خطابهم عن بقية الأقوام فاعتمد في حوارهم أسلوب التدرج ،أي تلمس فيه الرقة واللين في الحوار أحياناً وأحياناً لا تجد ذلك، والخطاب ألاستدراجي أسلوب اعتمده سبحانه بغية تذكيرهم بنعمه سبحانه من إنزال الكتب السماوية والصفح عن جميع المخالفات المتكررة في كل مرة يكفّرون بها نبيهم ،حتى وصل الأمر بهم إلى إنزال اشد أنواع

العذاب والابتلاء ، ولم يفت الجاحظ هذا الأسلوب المختلف فأرسل كلامه واصفاً ذلك بقوله ((ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام))[٥] فكان لهذه اللفتة مكانتها في معرفة نقاط التباين في الأسلوب المستخدم ، وحاول الرافعي تعليل ذلك من وجهة نظره مقرراً ان وجه الحكمة من اتخاذ هذا الأسلوب((لان القران الكريم خاطبهم بما هو قريب من أسلوب الأدب العبري فقد جرت خطاباتهم في القران على هذا الأسلوب ليعلموا انه وضع غير إنساني وليفقهوا سرا من أسرار إعجازه فيما هم بصدده من الإشراك والتكذيب فكان ابلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم ان تجتمع له رشاقة العبارة وحسن العرض ووضوح اللفظ وفصاحة التراكيب وإبانة المعنى وتكرار الكلام لكل ما يفيد التكرار وتوكيدا ومبالغة وإبانة نحوها ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى))[٦] فقد راعى سبحانه وتعالى في أسلوب قصصه عن بني إسرائيل ذكر أنواع المنن التي منحها لهم وضروب الكفران والفسوق التي قابلوها بها وما كان في اثر كل ذلك من تأديبهم بإنزال اشد العقوبات وابتلائهم بالحسنات والسيئات وكيف كانوا يحدثون في اثر كل عقوبة توبة ويحدث لهم في اثر كل توبة نعمة ثم يعودون إلى بطرهم وينقلبون إلى كفرهم فكان في آيات الخطاب يذكر النعمة فالمخالفة فالعقوبة فالرحمة فالتفضيل على العالمين واخذ الميثاق والانجاء من آل فرعون[٧] فنرى ان للقران أسلوباً مميزاً في عرض قصص بني إسرائيل إذ كان يستخدم معهم أسلوب التذكير بآياتٍ مجملةٍ ثم يأتي تفسيرها ، فكان أسلوبه أجمل من أسلوب القصاصين لان كل قصة يذكرها كانت في مكانها المناسب فلم يسق أي قصة في غير مكانها لان سوقها في مناسبتها يكسبها صفتين : ١)صفة البرهان ٢)صفة التبيان

وكانت تتميز هذه القصص بالإيجاز في نظم أسلوبها ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص[٨] فالبرهان لا يجدي نفعاً مع المتعصب لتقاليده وأعرافه التي شب عليها وترعرع فيها فهناك عدة عوامل موروثة نمت عبر معتقدات وخرافات حتى ترسخت وكادت تستعصي على كل معالجة منطقية[٩] فأهل الكتاب – اليهود خصوصاً – نما عندهم شعور ان النبي الذي سيبعث في آخر الزمان سيكون يهودياً وسيعلي من شانهم ويحارب كل من يعارضهم أو يخالفهم فكانوا يتباهون على أهل زمانهم بأنه سيأتي نبي منهم يُقتّلهم

ويشردهم في الأرض ، فلما بُعث الرسول الأعظم محمد ﴿ﷺ﴾ من العرب أفزعهم ذلك ولم يستطيعوا تفهم ذلك فخالفوا دعوته وحاربوه ،فهؤلاء ((لا يجدي معهم البرهان وإنما الإقناع المبني على العاطفة لان غاية البرهان ذيوع الحقيقة فقط مستقلة ...أما غاية الإقناع فتسخير عقل المخاطب وتعجيزه حتى لا يقدر على الاعتراض لأنه لم يبق عنده ما يعترض عليه))[١٠] فجميع ما انزله سبحانه عليهم من نعم وتفصيل وتذكيرهم بأيامهم وبآبائهم ، وخطابه لهم مذكرا إياهم بكل هذه الأمور مجموعا لتسخير ((عقولهم لقلوبهم عن طريق الكشف الانفعالي الذي يهيئهم لتقبل العقيدة الجديدة عن طريق التأثير على متبوعيهم))[١١] فنجد على سبيل المثال ان الهدف العام الذي كان يبتغيه القران من قصة موسى﴿عليه السلام﴾ في سورة طه هو ((التخفيف من الألم الذي يعانيه الرسول الكريم... فالقصة استهدفت غرضاً دينياً جديداً هو تطوير المفهوم الإسلامي العام عن طبيعة موقف المشركين تجاه الرسالة وانه هو الموقف العام تجاه كل الرسالات ..))[١٢]لذا نجد ان القران يخاطب أناسا في كل زمان ومكان ، كل على وفق أعرافه وتقاليده ، فهو لا يعمد إلى هدم جميع العادات والتقاليد دفعة واحدة بل يسلك أسلوب التدرج((فلم يعمد إلى هدمها كلها وإنما أبقى على الجيد منها ونقض الفاسد متبعا بذلك أسلوب التدرج في الأحكام كما في تحريم الخمر ولجأ في بعضها إلى الإقناع والحجة ومراعاة السلطان وتأصيلها في النفوس))[١٣]وهذا عينه ما لاحظناه متبعا مع أهل الكتاب –اليهود خاصة – فما حدث بين النبي موسى﴿عليه السلام﴾ وفرعون خير دليل على ذلك فلم يعمد النبي موسى﴿عليه السلام﴾ إلى هدم سلطان فرعون مرة واحدة فقد تدرج في دعواته ((والاستدراج هو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه أو ما يخوفه ويرغبه قبل ان يفاجئه المخاطب بما يطلب منه وهو باب واسع وهو ان يقدم المخاطب بما يعلم انه يؤثر في نفس المخاطب في ترغيب وترهيب واطماع وتزهيد وامزجه الناس تختلف في ذلك فينبغي ان يستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم الا يسيرا))[١٤]ونستطيع ان نلاحظ ان هذا الأسلوب الذي اتبعه النبي موسى ﴿عليه السلام﴾ إنما اتبع فيه أسلوب ربه أي(الأسلوب ألاستدراجي) فقوله تعالى ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿طه٢٤﴾ يصدر اللهُ سبحانه أمره للنبي موسى﴿عليه السلام﴾ إذ أجمل فيه كثير من المعاني ومنها أمره بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى في الأرض فادعى الربوبية لنفسه واستعبد الناس ومضى يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم فكان عليه ان يهتدي

ويعترف بوحدانية (الله) سبحانه فمن أحسنه موقعا وأشده تلطفا قوله سبحانه ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي۞اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى۞فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ﴿طه٤٢-٤٤﴾ فأمر سبحانه بالتلطف والاستدراج بقوله (فقولا قولا لينا)ثم قال تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى۞قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿طه٤٥-٤٦﴾ فافهمها تعالى ثم علمهما كيف يخاطبانه فقال تعالى﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿طه٤٧﴾فقولهما إنا رسولا ربك نسبة إليه ولم يقولا إنا رسولا ربنا لما فيه من التلطف والبديع[١٥] فـ(الله) سبحانه وتعالى أمر النبي موسى(عليه السلام) بالذهاب إلى فرعون لأنه تكبر وتجاوز الحد وأمرهما في الوقت نفسه بمخاطبته بأسلوب رقيق ولين وهذا دليل على حوار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لا يكون الا باللين من القول لمن معه القوة الا تراه أمرهما بقوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ وحينئذ يحصل الأمر والناهي على مرغوبهِ ويظفر بمطلوبه وكذا قوله﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ فخطابه هنا بلغ الغاية في التلطف مطالبين إياه ببني إسرائيل ولم يصرحا له بدعوتهما إلى الإيمان وإخراجه عما هو فيه من الكفر واسند ذلك إلى الآية استمالةً له إلى رؤيتهما ثم قالا ((وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى)) ولم يقولا له (اتبع) –على سبيل الأمر – إبقاء لعظمته من نفسه ثم اتبعاه بما هو اشد وهو الذي قدم التلطف بين يديه فقالا ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿طه٤٨﴾ وهذا تلطف أيضا إذ لم يخصاه به وذكراه على سبيل العموم الذي يستلزم دخوله فيه [١٦] ويختم النبي موسى (عليه السلام) دعوته لفرعون بتحية مهذبة ورقيقة ((فالسلام يعني السلامة والرحمة على من اتبع طريق الحق والهدى و(على)بمعنى اللام وتقديره السلام لمن اتبع والمعنى ان من اتبع طريق الهدى سلم من عذاب الله))[١٧] فمما لاشك فيه ان إتباع هذا الأسلوب مع الجبابرة والطغاة لا يدع للحجة عليهم سبيلا، لكن ان استخدام هذا النوع من السلام قد يكون هو إلقاء التحية على من هم لا يؤمنون بـ(الله) سبحانه ، فبما ان فرعون كان كافرا وطاغيا فاستخدمت هذه الصيغة في إلقاء التحية فمن المعروف ان تحية السلام في الإسلام هي ((السلام عليكم)) فعندما نلقى التحية من اليهودي فوجوب الرد يكون بكلمة سلام فقط لان صيغة (السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته) اختصت بالإسلام فقط ونشر الرحمة على العباد فاللطف في بداية كلامه هو الذي جعل الخطاب بارزا((ولا بد في هذا المجال أفضل الأساليب الفنية في الخصائص الفكرية والروحية والشعورية من اجل الدخول إلى الفكرة بهدوء والنفاذ إلى قلبه بمرونة بعيدا عن كل عوامل الإثارة القاسية التي تشبه الصدمة القوية المضادة لان الأسلوب هو العنصر الحيوي في تحريك الفكر والشعور ...لأنه هو الذي يهيأ الجو النفسي للانسجام مع الفكرة في خطواتها العملية ولهذا أكد الله سبحانه عليها في اختيار الأسلوب اللين والكلمة والجو والابتعاد عن صيغة الإثارة في ذلك فقوله﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ لا خشونة فيه ولا عنف ولا إثارة لعله يتذكر عندما يقوده الأسلوب الحكيم إلى التفكير أو يخشى عندما يثير شعوره الإحساس بالخوف))[١٨] ونستنتج من هذا ان إتباع الأسلوب اللين والهادئ مع الأشخاص المتعنتين ومن موقع الدراسة الواعية لكل من العوامل المؤثرة و في أفكارهم ، لا بد ان تؤدي إلى نتيجة حاسمة وايجابية ، فكانت دعوتهما بقوله تعالى ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أي توجيه الكلام مباشرة إليه لإفهامه أمرا لا بد انه كاف متغافلا عنه فذكّراه ان له ربا خلقه وانعم عليه فهو يملك ما لا يملك نفسه، هو الذي يملك حياته وموته لان هذه الكلمة هي التي سوف تخفف من جبروته وطغيانه عند نفسه وتوحي إليه بمشاعر الضعف فهو ليس ربا ولكنه مربوب وليس سيدا لكنه عبدا[١٩] فكل نبي جاء يدعوه وجدناه ((يبذل جهده في استعمال الأساليب المختلفة في الكلام اللين الهادئ أو التذكير بالنعم الإلهية الظاهرة التي يتمتع بها أقوامهم))[٢٠] فنلاحظ ان اغلب الأنبياء المذكورين في قصص القران إنما كان أسلوب دعوتهم بين الترغيب والترهيب ، فمرة يدعون أقوامهم ويثيرونهم إذا لبوا الدعوة بنعم ﷲ ثم يخوفونهم وينذرونهم بعذاب منﷲ وبطشه ، فالعقاب الذي كان الأنبياء يتوعدون به أقوامهم يعتمد على الإنذار بالعقاب العاجل في الدنيا أكثر من إنذارهم بالعقاب الآجل في الآخرة كما كانوا يقتصرون في ترغيبهم على التذكير بما منَّ ﷲ سبحانه عليهم في الدنيا من أنعام وبنين وجنات وعيون فلعل مرد ذلك يرجع إلى إحساس الأنبياء بان عقول مخاطبيهم وتفكيرهم لا يمتد ولا يعي إلى وجود حياة يحيونها بعد الموت [٢١] ثم يتصاعد أسلوب الخطاب في المحاورة بلهجة تهديدية إذ يظهر الاستدراج في نهايته ، فيحمل الخطاب لهجة تهديدية ضاغطة لا عهد له من قبل فيما يستمع إليه من حديث الناس معه﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ

وَتَوَلَّى ﴾ ويعلمانه ان ﷲ هو الذي خلقك وهو الذي يملك حياتك ومماتك[٢٢] والسؤال هنا يطرح نفسه هل هذا الكلام من القول اللين أم من القول الخشن ، فالآيات الأخيرة من الحوار توحي بالتهديد فلا تتناسب تماما مع بداية أسلوب الخطاب الهادئ.

ووفق ذلك كله نجد ان الأسلوب القرآني يرتقي عن بقية الأساليب البلاغية الأخرى ((فأسلوب القران الكريم هو طريقته التي ينفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ولا غرابة ان يكون للقران الكريم أسلوب خاص به فان لكل كلام أسلوب خاص به ...وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها..))[٢٣] فأسلوب القران جاء مخالفا تماما لأساليب العرب من ناحية انه جاء في نظمه بأسلوب جمع بين مقصدين أساسيين هما:

١) النصح والإرشاد والموعظة ٢) الأحكام والتشريع[٢٤]

فأولى أهل الكتاب جل عنايته سبحانه في خطاباته ودعا رسله إلى سلوك طريق المحاورة الهادئة ودعوة المسلمين إلى اتخاذ موقف يطالب فيه استمالتهم بأرق الطرق ((ففي مجال دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بـﷲ ورسوله يرشد القران المسلمين إلى أسهل الطرق في حجتهم من حيث الأسلوب والموضوع فمن حيث الأسلوب أوصى بان يكون أسلوبنا معهم في الجدال هادئا حسنا ما داموا غير متعنتين ظالمين ، ومن حيث الموضوع أوفى بان يكون جدالنا معهم قائما على إقناعهم بان دين ﷲ واحد وان الهنا والههم واحد وأننا لا نبغي منهم الا ان يتبعوا الحق الذي اتبعناه وان يتركوا العناد والجحود فيقول سبحانه﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ﴿ العنكبوت ٤٦﴾))[٢٥] في حين نجد ﷲ سبحانه وتعالى يخرج من هذه المعاملة الحسنة على شركهم وأظلوا أنفسهم وغيرهم بانحرافهم عن التوحيد ((فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم ولم ينحرف عن دين ﷲ وعن التوحيد الخالص الذي جاءت به جميع الرسالات))[٢٦] فيمكن عبر ذلك أن نستنتج إن اللطف في الخطاب والتأدب في الحديث والتفنن في عرض أي قضية شائكة لا تسمح

للمتلقي ان ينفر بالابتعاد عنها بل هذه السمة تعد من علامات نجاح الداعي والوصول بالدعوة إلى غايتها المأمولة ونهايتها المرجومة ..[٢٧]

ويمكن ان نعد هذا الأسلوب من ضمن الأساليب الخطابية ، فنلمح ان أسلوب الخطاب الموجه إلى أهل الكتاب يحمل من بين طياته الأسلوب الخطابي ، فعندما نتأمل هذا الأسلوب نجده لا يخلو من جماليات حضوره في ذهن سامعيه ((فلوضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس ،ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوة عارضته وسطوع حجته ونبرات صوته وحسن إلقائه ومحكم إشارته ومن اظهر مميزات هذا الأسلوب التكرار واستعمال المترادفات وضرب الأمثال واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين ويحسن فيه ان تتعاقب ضروب التعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار))[٢٨]فها هو الأسلوب الرصين الذي اتخذهﷲ سبحانه واغلب أنبياء بني إسرائيل مع أقوامهم ، فقال تعالى مخاطبا بني إسرائيل بقوله﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ۞وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ۞وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ﴿البقرة ٤٠-٤٣﴾ وكذلك قوله تعالى وهو يظهر مدى قدرته سبحانه في الاستبدال اللفظي ليؤدي دلالة أعظم﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿البقرة ٦٣﴾ وكذا قوله﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ... ﴾ ﴿البقرة ٩٢﴾ وكذا قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿آل عمران ٧٠-٧١﴾ وغيرها كثير فتأتي أهمية الأسلوب الخطابي من كونه يتجه مباشرة إلى المتلقين ، إذ بدوره يقيم حواراً قائماً على الإقناع والتأثير مستعيناً بمعطيات مرجعية قائمة على معرفة أحوال السامعين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم مع ملاحظة مستوى تقبلهم للكلام في أثناء خطابه ، فالإقناع هو السبيل التي سلكها القران الكريم في استقطابه الناس نحو الدعوة الإسلامية وهذا يكون عبر الجدل والحوار الذي

يتوجه إلى العقل البشري الأمر الذي ندرك معه إلى أي حد كان القران يعتمد على العقل في الحوار فكان لهذا الأثر البالغ في توجيه معظمهم إلى الطريق القويم ،فمهمة الخطيب تكمن في مهمة التوصل إلى الإقناع فالخطيب إذا أراد بلوغ غايته فليتوخ طباع الناس، فالأسلوب بذلك يختلف من موضوع إلى لآخر ((ما دامت الموضوعات التي يطرقها الكاتب متعددة مختلفة فأن أساليبهم فيها تختلف..))[٢٩] فمجموع الأساليب البلاغية بأنواعها تجعل المخاطب أو المتلقي يسهم إسهاما فاعلا في إنتاج معنى النص المفقود بوساطة عملية استدلالية ينتقل فيها عبر اللفظ أو معناه المتواضع عليه إلى المعنى الذي يقصده المتكلم فدلالة النص على المعنى نادرة في النصوص الإبداعية فمنهم من جعلها بارزة في كتاب ﷲ فالنص يكون دالا على المراد أحيانا بذاته تارة وبقرينة تارة أخرى يضاف إلى ذلك إن النص يجب فهمه كما أراد منزله لان في غير ذلك إضاعة لحكمة الخطاب [٣٠] وعليه فأسلوب الخطاب القرآني إذن اختلف من قوم إلى آخر ومن ملة إلى أخرى وكذا اختلف خطاب الأنبياء كلا بحسب أقوامهم فكان علينا ان نبرِّز ونبين سمات كل أسلوب فكانت لنا هذه الوقفة العجالة والموجزة في أسلوب الخطاب القرآني إلى أهل الكتاب إذ لمحنا ان الأسلوب ألاستدراجي طغى عليه وهذا مما اعجز العرب آنذاك عن محاكاته أو الإتيان بمثله .

الهوامـــــش

١) مناهل العرفان، الزرقاني :٢/٢١٨.

٢) ينظر: الإعجاز الفني في القران الكريم ،عمر السلامي :٤٦.

٣) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي:٧١.

٤) لغة القران ،عبد الرحيم عبد الجليل :٢١٩.

٥) الحيوان، الجاحظ:١/٦٤.

٦) إعجاز البلاغة النبوية:٢٢١-٢٢٢.

٧) ينظر:الطبيعة اليهودية ، سعد المرصفي :٢٤-٢٥.

٨) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور:١/٦٤-٦٥.

٩)سيكولوجية القصة في القران الكريم ،:٤٢٢.

١٠)المصدر نفسه :٤٢٢.

١١)المصدر نفسه :المكان نفسه.

١٢)في علوم القران ، محمد باقر الحكيم :٤١٥.

١٣)خطاب الأنبياء والرسل ، نبيلة عبد المحسن :١٨.

١٤)البديع في ضوء أساليب القران، عبد الفتاح لاشين:١٢١.

١٥)ينظر:المصدر نفسه:١٢٢.

١٦) ينظر:المصدر نفسه: المكان نفسه.

١٧)التبيان في تفسير القران ، الطوسي : ١٧٧/٧.

١٨) من وحي القران ، محمد حسين فضل الله :١١٤/١٥.

١٩)ينظر: من وحي القران ، محمد حسين فضل الله :١١٤/١٥.

٢٠) في علوم القران ، محمد باقر الحكيم :٤٤.

٢١)ينظر: سيكولوجية القصة في القران الكريم:٤٢٤

٢٢)ينظر: من وحي القران :١١٤/١٥.

٢٣) مناهل العرفان، الزرقاني :٢١٨/٢.

٢٤)ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١١٥-١١٦.

٢٥)موقف اليهود من الرسول والرسالة،سعد المرصفي: ٤٣/٣.

٢٦) المصدر نفسه: المكان نفسه.

٢٧)ابن القيم وحسه البلاغي ، عبد الفتاح لاشين:١٨٠.

٢٨)جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي :٤٢.

٢٩) لغة القران :عبد الرحيم عبد الجليل : ٢٩٠.

٣٠) ينظر: طرق التلقي في إنتاج معنى النص القرآني خالد الجبر (بحث)مجلة البصائر ، جامعة البترا ،مجلد ٧،ع: ٢،س: ٢٠٠٣: ٤٤-٤٥.

المصـــــادر

١. ابن القيم وحسه اللغوي في تفسير القران، عبد الفتاح لاشين، طبع ونشر في دار الرائد العربي / بيروت ١٩٨٢.

٢. الأسلوبية والأسلوب، د.عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب /الطبعة الثالثة.

٣. إعجاز القران والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي / بيروت.

٤. الإعجاز الفني في القران، عمر السلامي / توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله / تونس ١٩٨٠.

٥. البديع في ضوء أساليب القران ،.د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف / القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٦. التبيان في تفسير القران ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، تحقيق : احمد قصير العاملي ،مكتب الإعلام الإسلامي /قم ،الافست من الطبعة البيروتية الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧. التحرير والتنوير، سماحة الشيخ محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السُّود/ دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى / بيروت – لبنان ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٠. الطبيعة اليهودية، د. سعد المرصفي ، مكتبة النار الإسلامية / الكويت سلسلة الرسول (ص)واليهود وجهاً لوجه الطبعة الأولى ١٤١٣هـ –١٩٩٢م.

١١. لغة القران الكريم ، د. عبد الجليل عبد الرحيم ، مكتبة الرسالة الحديثة – الطبعة الأولى/الأردن ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٢. مناهل العرفان في علوم القران ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر للطباعة والنشر /بيروت – لبنان.

١٣. من وحي القران، السيد محمد حسين فضل الله، دار الزهراء للطباعة – الطبعة الثالثة / بيروت.

١٤. موقف اليهود من الرسول والرسالة ، د. سعد المرصفي ،(سلسلة الرسول(ص) وجها لوجه مع اليهود) مكتبة المنار الإسلامية /الكويت ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٥. طرق التلقي في إنتاج معنى النص القرآني خالد الجبر (بحث)مجلة البصائر ،جامعة البترا ،مجلد ٧،ع: ٢،س: ٢٠٠٣: ٤٤-٤٥.

١٦. سيكولوجية القصة في القران الكريم ، د. التهامي نفره، الشركة التونسية للتوزيع، أطروحة دكتوراه مطبوعة /الجزائر.

١٧. في علوم القران، آية الله السيد محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات / الطبعة الثالثة/بيروت – لبنان ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

١٨. الخطاب القرآني للأنبياء والرسل (دراسة فنية) ، نبيلة عبد المحسن / رسالة ماجستير / جامعة بغداد- كلية التربية ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.